أنت دير الهوى وشعرى صلاة (*)

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« إلى غمامتى الشاردة ... أهدى هذه الصلاة »

أقبلي كالصلاة رقرقها النسـك بمحراب عابدٍ متبتل
أقبلى آيةً من الله عُليا   زفّها للفنون وحىٌ منزّل
أقبلى فالجراح ظمآى! وكأس الحب ثكلى! والشعر نايٌ معطّل
أنتِ لحنٌ على فمى عبقرىٌ   وأنا فى حدائق الله بلبل
أقبلى... قبل أن تميل بنا الريح! ويهوى بنا الفناء المعجّل
زورقى فى الوجود حيران شاكٍ   مثقلٌ بالأسى، شريدٌ مضلّل
أزعجته الرياح، واغتاله الليل بجنح من الدياجير مُسبل
فهو فى ثورة الخضمّ غريبٌ   خلط النوح بالمنى وتنقّل
أقبلى يا غمام روحى فالشطُّ (م) بعيدٌ! والروح باليأس مثقل
وغمام الحياة أغشى سوادىّ (م) ونور المنى بقلبى ترحّل
أنا ميتٌ تغافل القبر عنى   وهو إن يدرِ شِقوتى ما تمهّل
فاسكبى لى السنا وطوفى بنعشى   ينعش الروح سحرك المتهلّل
أنتِ نبعى، وأيكتى، وظلالى   وخميلى، وجدولى المتسلسل
أنتِ لى واحةٌ أفىء إليها   وهجير الأسى بجنبىّ مشعل
أنتِ ترنيمة الهدوء بشعرى   وأنا الشاعر الحزين المبلبل
أنتِ تهويدة الخيال لأحزا   نى بأطياف نورها أتعلّل
أنتِ كأسى وكرمتى ومدامى   والطلا من يديك سُكرٌ محلّل
أنتِ فجرى على الحقول، حياةٌ   وصلاةٌ، ونشوةٌ، وتهلّل
أنت تغريدة الخلود بألحا   نى.. وشعر الحياة لغوٌ مهلهل
أنت طيف الغيوب رفرف بالرحـمة والطهر والهدى والتبتل
أنت لى توبةٌ إذا زلَّ عمرى   وصحا الإثم فى دمى وتململ
أنت لى رحمةٌ براها شعاعٌ   هلّ من أعين السما وتنزّل
أنت لى زهرةٌ على شاطئ الأحلام تروى بمهجتى وتظلّل
أنتِ شعر الأنسام وسوسة الفجـر، وذابت على حفيف السنبل
أنتِ سحر الغروب، بل موجة الإشـراق عن سحرها جنانى يسأل
أنت صفو الظلال تسبح فى النهـر وتلهو على ضفاف الجدول
أنت عيد الأطيار فوق الروابى   أقبلى! فالربيع للطير أقبل...
أنت هولى وحيرتى وجنونى   يوم للحسن زهوةٌ وتدلّل
أنت ديرُ الهوى وشعرى صلاةٌ   لك طابت ضراعتى والتذلل
أنت نبعٌ من الحنان، عليه   أطرق الفنّ ضارعاً يتوسّل
أعينٌ للخشوع تغرى، فخلّيـها على لوعتى تغضّ وتُسبل
واتركيها وسحرها يتمادى   علّما (1) «بابلٌ» بنجواه تُشغل
هو فنّى، وملهمى... فابعثيه   فهو من زهوه شحيحٌ مبخّل
يتغافى على الجفون، فإن رُحـتُ أناجيه لجّ فى السكرى وتوغّل
وانتشى من سناك وانساب فى لحـظك يحسو الضياء منه وينهل
وانبرى من جفونك البيض كالأقـدار يُردى كما يشاء ويقتل
ليت لى من صراعه كلَّ يومٍ   غزوةً فى سكون قلبى تجلجل
ولكِ الصوت ناغما عاده الشو   ق فأضحى حنينه يترسّل
نبراتٌ كأنها شجن الأو   تار فى عودِ عاشقٍ مترحّل
أو حفيف الأذان فى مسمع الفجـر نديُّ الصدى، شذىُّ المنهل
أو غناء الظلال فى خاطر الغُد   ران شعرٌ فى الصمت عانٍ مكبّل
أو نشيدٌ أذابه الأفق النّا   ئى، وغنّاه خاطرى المتأمّل!
ولك البسمة الوديعة.. طهرٌ   وصفاءٌ، وصبوةٌ، وتغزّل
لذةُ (2) الهمس فى دمى تنقل الرو   ح لوادٍ بصفو عمرى مظلّل
فاسكبيها على جنانى، وخلّى   سحرها فى مشاعرى يتهدّل!
ولك الهدأة التى تغمر الحـس فيروى من السكون ويثمل
واحةٌ للجمال، قلبى فيها   من أسى الدهر ناسكٌ متعزّل
علمتنى ظلالها كيف أنسى   صخب الهم وهو عصفٌ مزلزل
ولك العفة التى عاد منها   «مريمىٌّ» الستور فوقك مسبل

(*) من ديوان (هكذا أغنى) الذى يظهر حديثاً

(1) لعلما   (2) لذيذة